Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان يستشعر خفة تغذيها الأبخرة الدافئة المنتشرة فى الظلام • كان الماء يجرى حزينا هادئا أمام ستار من شجر الحور الباسق • وثمة نجوم تبدو وكأنها تسبح على الماء الرجراج • وكانت هناك ضبابة رقيقة بيضاء تنسدل على الشاطىء من الناحية الأخرى ، وتحمل الى الرئتين عطرا رطبا • توقف فجأة متأثرا برائحة النهر التى كانت تحرك فى قلبه ذكريات قديمة • وفجأة استعاد صورة أمه أثناء طفولته وقد انحنت راكعة أمام الباب ، تغسل الثياب المكومة بجانبها فى مجرى النهر الذى يخترق الحديقة • وسمع صوتها فى سكون الليل الهادىء يناديه: «الفريد ! هات الصابون!» • وكان يشتم نفس رائحة الماء الذى يسيل ، ونفس الضباب الذى يتصاعد من الأرض المغطاة بالماء ، ونفس البخار المنبعث من المستنقعات والذى ظل طعمه فى حواسه لا ينساه • وتوقف متصلبا اثر نوبة من اليأس العنيف ، فقد كان هذا أشبه بومضة من النور أضاءت دفعة واحدة ، ألمه العظيم • وهكذا قذفت به هذه النسمة الشاردة فى هاوية مظلمة من الأوجاع ، وأحس بقلبه يتمزق لهذا الفراق الدائم • لقد قصمت حياته من وسطها • وكان شبابه كله يختفى مغمورا فى هذا الموت • فقد انتهى الماضى كله • وتلاشت ذكريات المراهقة جميعا • ولن يستطيع أحد بعد اليوم أن يحدثه عن الأشياء القديمة ، وعن الناس الذين عرفهم فيما مضى ، وعن بلده ، وعن نفسه ، وعن دخائل حياته السالفة • وبدأ سيل الذكريات يغمره • كان يسترجع أمه فى شبابها وقد ارتدته ثيابا رثت على جسمها ، حتى كأنها جزء لا ينفصل من جسمها من طول المعاشرة • يسترجع صورتها فى ألف مناسبة كان قد نسيها ، فى أشكالها الباهتة ، وحركاتها ، ونبرات صوتها ، وعاداتها ونزواتها ، وغضباتها وتجعدات وجهها ، وحركات أصابعها النحيلة ، كل هذه الأوضاع الأليفة التى لن تكون بعد اليوم •

يقدم موباسان تحليلا عميقا لدوافع الحزن العميق عند الوقوف فى مواجهة الفقد • ثم يوجزه فى عبارة قصيرة : « ان جزءا من كيانه قد كف عن الوجود ، وليس على الجزء الباقى الا أن يموت • الآن • » • ونزعم أن هذا الاحساس ذاته قد اعترى حوذى تشيكوف عند فقد ابنه ، لا الأم التى بلغت التسعين من عمرها • لكن تشيكوف يختزل كل هذا ، ويهرع الى تجسيد عدم التواصل مباشرة • هذا التجسيد الذى يبدأ عند موباسان بعد ترك حكيم الصحة لصديقه • لكننا قبل أن ننتقل الى عبارة عدم التواصل عند موباسان ، يهمنا أن نوضح نوعا من التناقض الكامن داخل النفس البشرية ، والذى يبرع موباسان فى ابرازه • وهو هنا تناقض يعترى صاحب الحزن العظيم نفسه • وموباسان يغوص داخل النفس البشرية الغريبة ، ليخرج منها كل ما هو صادق وحقيقى ، ومذهل ومثير للدهشة فى نفس الوقت • فقد تشبث كارافان بحكيم الصحة وهو يرسل